وجـد

البحـر يهـدر غاضبـا الليلـة، يهـدّد مـن علـى سـطحه، وينـذر بليلـة عصيبـة، المـوج يزمجـر.. يشـتبك ضاربًـا نفسـه بصخـور الشـاطئ؛ لينهـي حياتـه، ولا يتبقّـى منـه سـوى زبـد أبيـض يشـهد علـى مـوج ثائـر مـر مـن هنـا.

«وجـد» فتـاة مجنونـة هكـذا يتحـدث عنهـا أهـل الأنفوشـي، نعـم فمـن لا يعـرف «وجـد» ابنـة الشـيخ «مفتـاح» الصيـاد حامـل القـرآن، كمـا يطلقـون عليـه، لحفظـه للقـرآن الكريـم كامـلاً، لم ينجـب الشـيخ غـير «وجـد» فقـد توفـت زوجتـه بعـد وضعهـا بقليـل، كانـت «وجـد» أم أبيهـا وصديقتـه، لم تكـن يومًـا فتـاة عاديـة، كانـت تخالـط صبيـة الحـي، وتلعـب معهـم وتسـتمتع بهزيمتهـم أمامهـا في ألعـاب الكـرة والحجلـة والسـبع طوبـات والسـباق مـن القلعـة وحتـى رأس التـين، كانـت تثـير غـيرة الفتيـات لجمالهـا ونفورهـم منهـا لمخالطتهـا للصبيـة ولحدتهـا وقوتهـا؛ الـتي تشـبه أفعالهـم إلى حـدّ كبـير، كانـت وحيـدة وكان يؤنـس وحدتهـا صديقهـا الوحيـد الشـيخ «مفتـاح»، كانـت تحفـظ علـى يديـه آيـات الله، كان حكيمًـا وصبـورًا، يعلمهـا ويفيـض عليهـا مـن حكمتـه ومعارفـه، فقـد كان كثـير القـراءة والاطـلاع علـى الرغـم مـن أنّ عملـه المبكّـر منـذ صغـره أجـبره علـى تـرك

التعليم بعد حصوله على الشهادة الابتدائية، حاول الشيخ مفتاح أن يحقّق حلمه في «وجد»، بحثه الدائم لها على إكمال تعليمها، وكان أمله أن تحصل على أعلى الدرجات العلمية خاصة، وهي فتاته الذكية المثابرة، إلّا أّن «وجد» آثرت أن تساعد أباها في أعمال الصيد وأن تصعد معه على المركب «عمرانه» لعشقها للبحر ورغبتها في العناية بأبيها، واكتفت بحصولها على شهادة البكالوريا، كانت «وجد» دائما ما تصعد على متن المركب وتنظر شاردة إلي البحر.

لاحظ والدها ذلك وسألها فيم الشرود؟! فكانت تردّ قائلة: » إنّها تفكر دائمًا في خط السراب الواصل بين السماء والأرض، وإنها تتمنى أن تصل إلى هناك». فيضحك الشيخ «مفتاح» وهو يعلم أن الوقت طال، وقد أصبحت شابة جميلة ومع ذلك لم يتقدّم أحد لخطبتها، فالصبية الذين صاروا شبابًا حاولوا التعدي عليها، وكانت تزجرهم وتلقّنهم دروسًا بكعب حذائها المدبب.. لم ولن ينسوها، لم يفكر أحد في أن يحب «وجد».

ففي اعتقادهم أنها فتاة لا تصلح للحب، يطمعون في جمالها نعم لكن لا يحبونها، ربما لقوتها وذكائها ربما لصلابة عودها وقوة شخصيتها، ربما لأنها لا تكذب أبدًا.

حينما كانوا يفكرون في الحب، كانوا يذهبون لفتيات

الحـي الأخريـات المصونـات بداخـل بيوتهـن الأقـل جمـالاً أو الأقـل علمًـا أو الأقـل صدقًـا.

لم تكـن «وجـد» تفكّـر كثـيرًا في هـذه المسـألة، فقـد كانـت مكتفيـة بحبّهـا للقـراءة، الـذي ورثتـه مـن والدهـا وبعملهـا معـه في سـابقة مـن نوعهـا في البحـر الـذي تعشـقه.

ولكـن والدهـا كان يؤرقـه تأخـير زواجهـا خوفـا عليهـا بعـد رحيلـه متسـائلًا مـن يؤنـس وحدتهـا، مـن سـيراعيها ولكنـه كان يسـلم أمـره للّه، ويدعـو بقـدر برّهـا بـه وحبّـه الشـديد لهـا.

مـرت الأيـام ومـات الشـيخ «مفتـاح»، أصـرت «وجـد» أن تحمـل نعشـه علـى كتفهـا رغـم اعـتراض أهـل الحـي، كانـت تعتقـد أن والدهـا أمانتهـا، ويجـب عليهـا إيصالـه لمثـواه الأخـير وأنّهـا أحـقّ مـن أهـل الحـي بحملـه علـى أكتافهـا الـتي ربـت وكـبرت مـن فضلـه.

عـادت «وجـد» إلى منزلهـا وحيـدة، أغلقـت البـاب ونظـرت لحـذاء أبيهـا فأحكمـت إغـلاق المـزلاج، نامـت في سـريره في مكانـه بالضبـط وتدثـرت بغطائـه الـذي مـازال يحمـل رائحتـه ونامـت.